٦

الملكان التائبان

بقلم

عاطف عبد الفتاح

رسوم

عبد الرحمن بكر

دار
التقوى
للنشر والتوزيع
٨ شارع زكي عبد العاطي من شارع عمر بن الخطاب
عرب جسر السويس - القاهرة - جمهورية مصر العربية
ص . ب : ٦٧١ العتبة - كود ١١٥١١ ت : ٢٩٨٩٩٤٣

الملكان التائبان

كـان هنـاك ملكٌ عـادلٌ من الأمم السـابقـة . . . يحبُّ شعبَهُ وذاتَ يوم جلسَ الملكُ على كرسيِّه . . . استأذن وزيرهُ ودخل خلفَهُ العلماءُ والشعراءُ ومندوبون عن الشعب .

سأل الملكُ وزيرَه : هه . . ما الأخبار ؟

الوزير : خيـرٌ يا مـولاي . . . خـزانةُ الدولةِ مملوءةٌ ، وخيرُ اللهِ كثيرٌ .

وسأل الملكُ العلماءَ : وما أخبارُكم ؟

العالم الأول : إننا يا مولانا بخير ، ونشكرُ لك رعايتَكَ الدائمةَ ، واهتمامَك بإحضارِ الكتبِ والأجهزةِ إلينا .

العالم الثاني : المهم هو أن ترضى عنا .

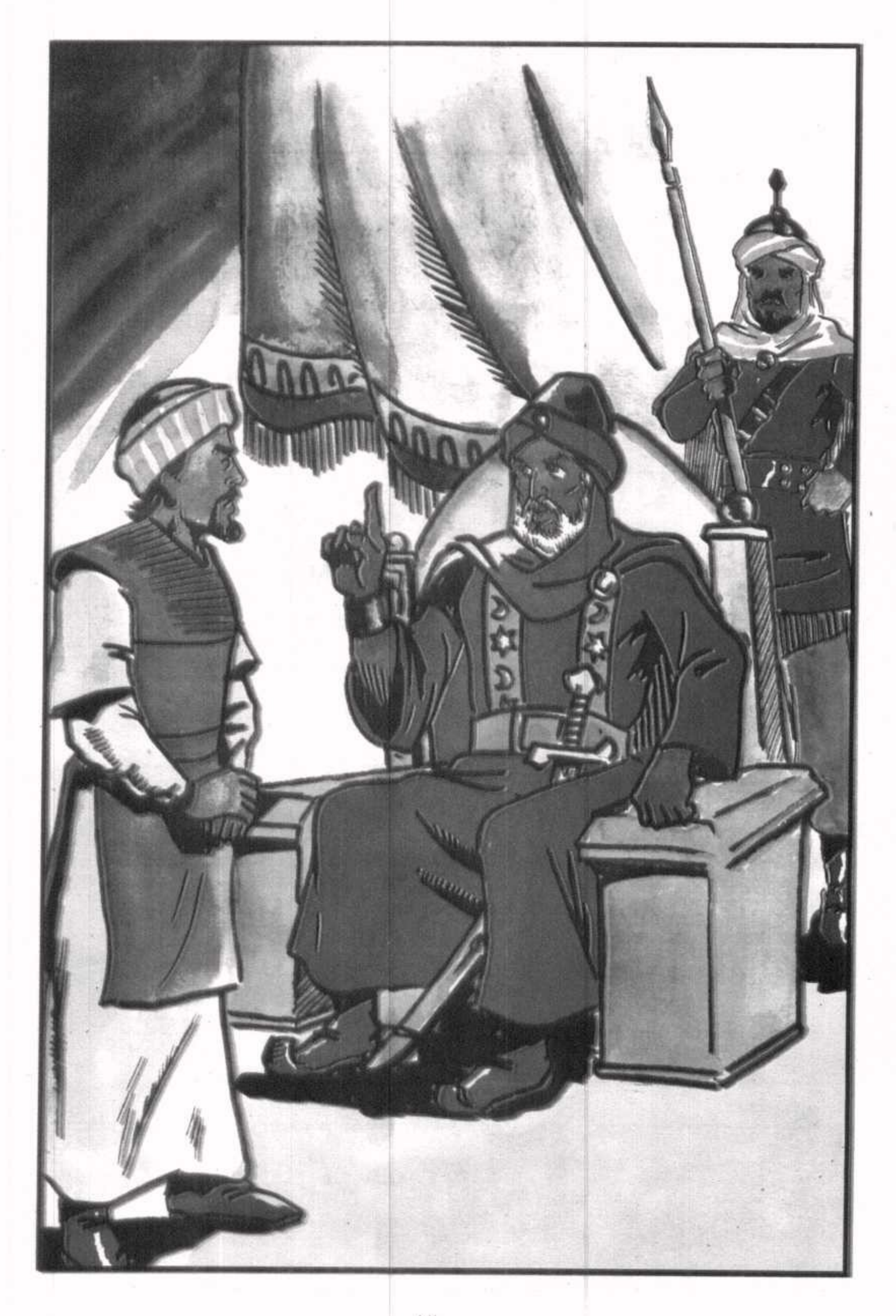
الملك : أنا راضٍ عنكم تماماً . . . أنتم العلمـاءُ عـقـلُ الأمـةِ . . . المهمُّ أن ترضوا أنتم عني .

العالم الثالث : لقد تركتَ لنا حريةَ التفكير . . .

العالم الرابع : وأعطيتنا كلَّ الإمكانياتِ المادية .

العالم الثاني : نسألُ اللهَ أن يجزَيكَ خيرَ الجزاءِ .

ما إن سمع الملك الدعاء حتي بدا عليه حزنٌ شديدٌ . . . فسكَت الجميعُ لحظةً ، بعدَها قال العالمُ الثاني معتذراً : آسفٌ يا مولاي . . . ربما قلت شيئا أغضبَ مولاي .



فحاول الملكُ أن يخفيَ حزنَهُ ، وقال للعالمِ : لا . . أنت عالمٌ ولك مكانتُكَ عندنا . . . ولا أغضبُ أبدا منك .

والتفت الملكُ إلي أحدِ مندوبي الشعبِ ، وسألهُ : كيف الأحوالُ ؟

المندوبُ الأول : بخيرٍ يا مولاى . . الشعبُ يشكرُ اللهَ ؛ لأنه جعلك حاكماً عليهم .

الملك : اصدقني القولَ . . . هل أحدٌ يشتكي من الطعامِ أو المسكنِ أو العمل أو أي شيء ؟

المندوب الأول : لا يا مولاي . . . كلُّ شيء متوافرٌ .

الملك : هلْ يوجدُ فقراءُ في بلدي ؟

المندوب الثانى : كان يوجد . . . لكنهم الآن يعيشون أفضلَ عيشةٍ . . . أصبحَ لهم مسكنٌ وعملٌ وراتبٌ يفيض عن حاجتهم . جزاك اللهُ خيرَ الجزاء .

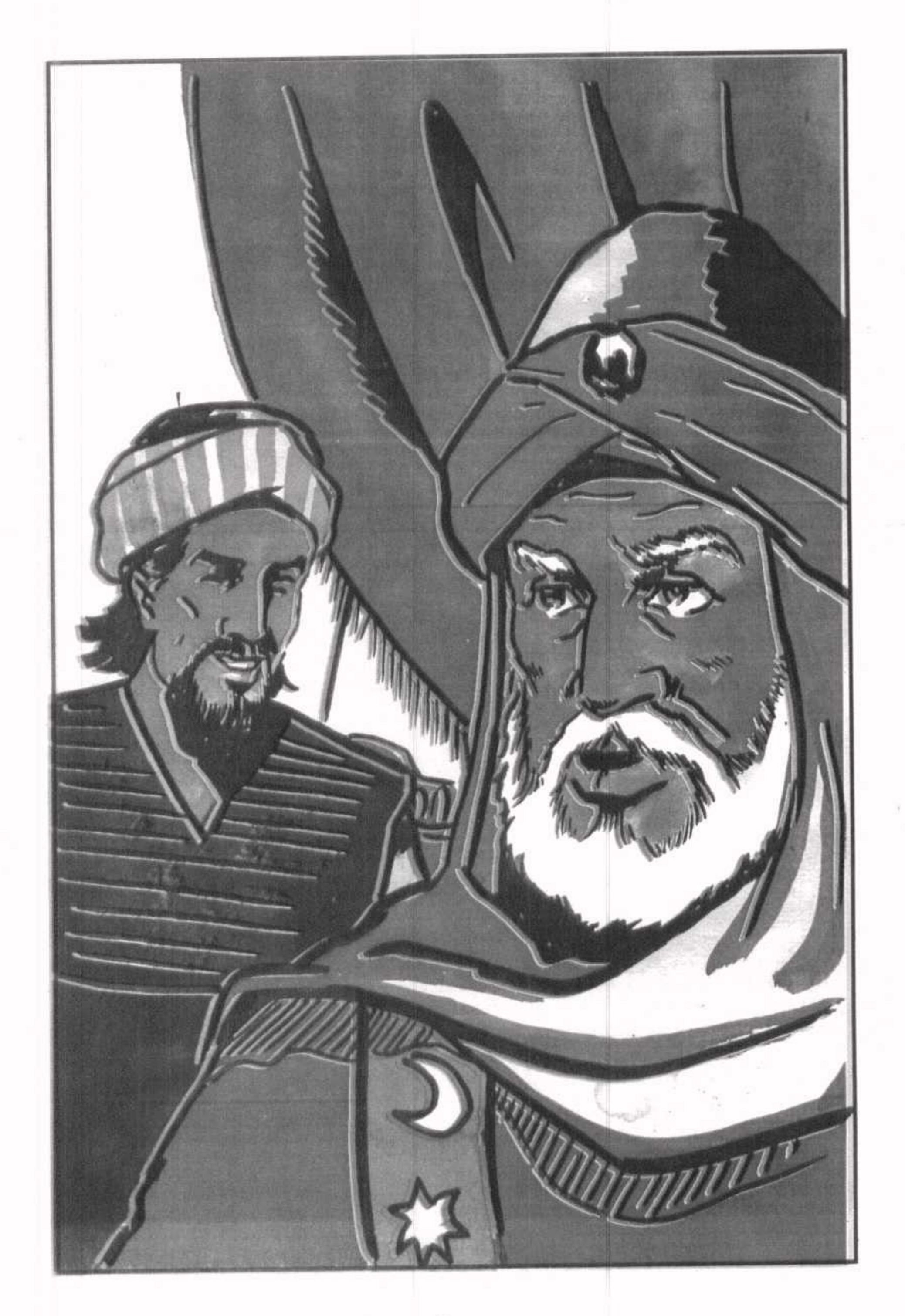
هزت هذه الكلماتُ الملكَ ، وكادت عيناه تدمعانِ ، لكنه تمالكَ نفسَهُ ، فأحسَّ كلُّ مَنْ حولَهُ أن الملكَ يفكر في شيءٍ يحزنُهُ ، فاستأذنوا ، وبقىَ الوزيرُ .

قال الوزيرُ للملكِ : مالى أراكَ حزيناً يا مولاي ؟ إن دولَتكَ غنيةٌ وقويةٌ .

الملك : ليس هذا الذي أفكرُ فيه .

الوزير : فيم تفكرُ يا مولاي ؟

الملك : أفكرُ فى اللهِ .



الوزير : أشهدُ أنك ملكٌ عادلٌ . أنت يا مولاي لست كحكامِ البلادِ الأخرى . . . الشعبُ كلُّهُ يحبُّكَ . . . ليس في بلدِك مظلومٌ ولا فقيرٌ . . الكلُّ يقولُ رأيَهُ دونَ خوفٍ .

الملك : معذرةً يا وزيرى . . أرجو أن تتركنِي الآنَ . . أريدُ أن أفكرَ وحدي .

استدارَ الوزيرُ وقال : أمر مولاي . . بعد إذنك . . وخرج الوزيرُ ، وبقي الملكُ وحدَهُ .

بدأ الملكُ يتذكرُ أيام صباه وشبابِه . . يتذكرُ عندما كان محافظاً علي الصلاة . . يتذكر كيف كان نشيطاً فى طاعة الله . . وكيف كان أسبقَ الناسِ إلي عملِ الخير . . . ثم تذكر عندما تولى الحكمَ ، وأخذ على نفسه عهدا أن يحكمَ الناسَ بما يرضي الله . . . ووضعَ الملكُ رأسَهُ على كفيه ، وقال : أين أنا الآن من عبادةِ الله ؟ لقد شغلنى الملكُ عن الله . . .

ووقف الملكُ ، ونظر إلى ما حوله من زخارفَ ، وقال :

أعلمُ أن كلَّ هذه الزينةِ زائلةٌ ، وكلَّ هذا الملك زائلٌ . . . أعلم أن الدنيا كلها ستنتهي . . وسنقفُ أمامَ اللهِ ليحاسبَنَا . . . عندما يسألني اللهُ ماذا سأقولُ له ؟ هل أقول له إن الملك شغلني عنك ؟ ماذا سيكون مصيرى ؟

وهنا سقطت دمعتانِ من عينيه ، فجلسَ وقال : ماذا أفعلُ ؟ ماذا أفعلُ ؟



وأحنى الملك رأسَهُ ، وسكت لحظةً . . بعدها رفع رأسَهُ ، وصاح : نعم . . . فعلاً . . هذا أفضلُ حلٍّ.

وهدأتْ نفسُ الملكِ بعضَ الشيء ، وانتظر حتى يجيء المساءُ . . ولما جاء المساء ، وغطى الظلام المدينة ، استبشر الملكُ ، فقد كان يعد اللحظةَ بعد اللحظةِ في انتظارِ المساء .

وبعد أن تأكد الملك من أن كل خدمه نائمون ، جمع بعضَ ملابسه ، وخرج من قصرِه دون أن يراه أحد .

خرج الملكُ من قصره . . لم يكن يدري الى أين سيذهب . . ولا ماذا سيفعل ؟ ولم يكن يهمه شيء من هذا . . لقد كان همه الأول هو أن يتركَ ملكَهُ وماله ، ويتفرغَ لعبادة الله . . . وسار الرجلُ في الليل ، وهو يستغفرُ اللهَ ، ويدعوه أن يسامحَه على الأيام التي قضاها دون أن يعبدَ الله فيها .

أحسَّ الرجلُ براحةٍ كبيرة ، لقد أراح نفسَهُ من الحمل الرهيب الذي كانت تحمله . . .إن الحكمَ مسئوليةٌ ثقيلة ، ولا يؤدى هذه المسئوليةَ إلا قليلون جداً . .

واصل الرجلُ سيره وهو يفكرُ في هذا الكلام ، كان مقتنعا تماما أن ما فعله هو الصوابُ ، فحمد الله ، لأنه نجَّاه مما يقع فيه كثيرٌ من الحكام .

ترى كيف ستكون حياته الجديدة . . لم يفكر الرجلُ في هذا . قال في نفسه :



إنني ذاهبٌ إلى الله . . . ولن يتركَني . سأتركُ بلدى ، وأذهبُ إلى أي بلدةٍ لا يعرفني فيها أحد . . .

ثم فكر في شعبه الذي يحبه ، فقال في نفسه : مسكين شعبي . . سيحزنُ من أجلي . . سامحوني . . . واللهِ أنا لم أكنْ أريدُ أن أتخلى عنكم . . . ولكني أحبُّ الله أكثرَ .

ثم رفع يديه ، ودعا الله والدموعُ تتساقط من عينيه : اللهم تقبلْ توبتى . . . رب اشرح لي صدري ، ويسر لي أمري .

وصل الرجلُ إلى ساحلِ بحرٍ ، وبدأ حياتَه الجديدةَ .

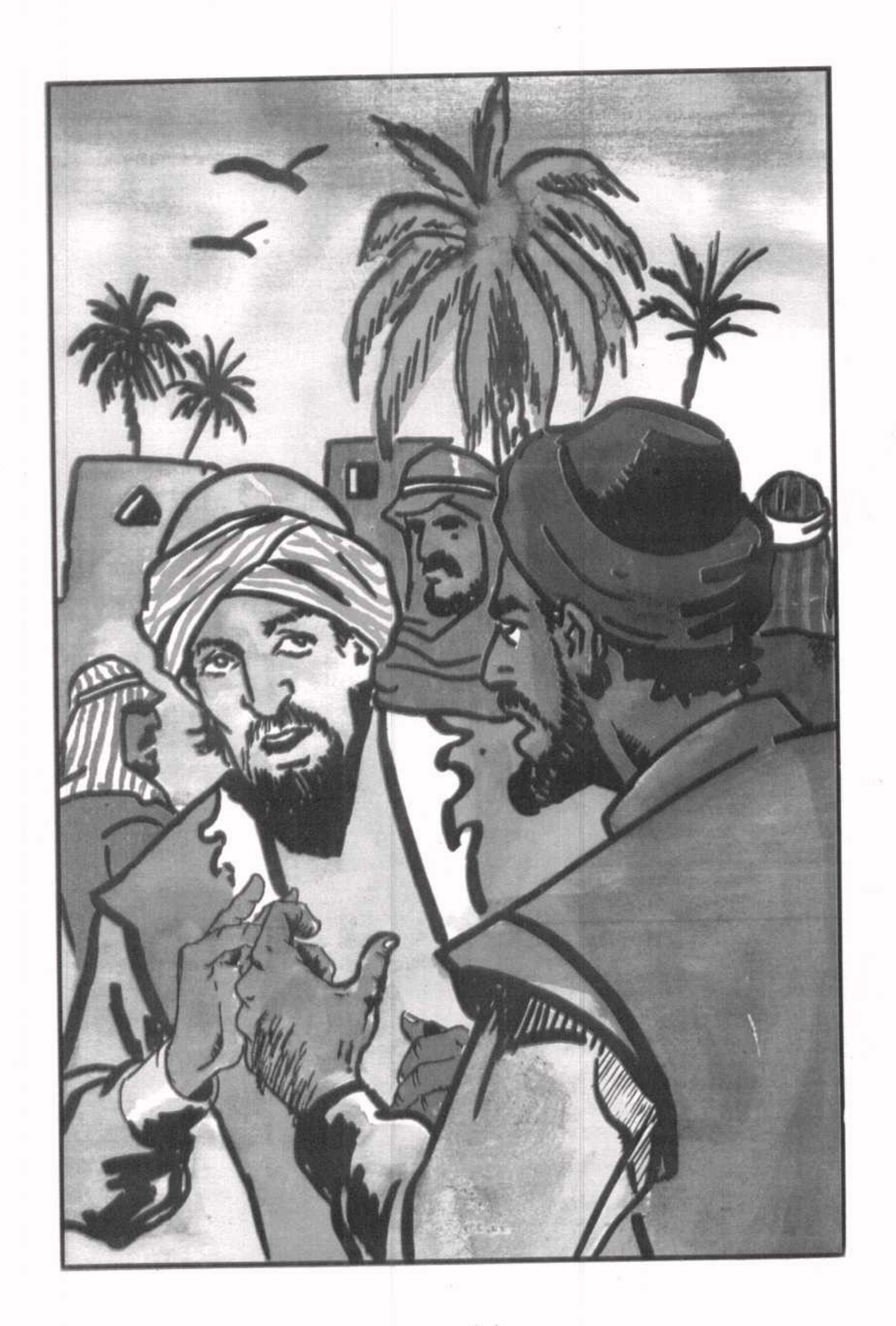
كان الرجل يضربُ الطوبَ اللبن ، ويبيعُه . . فيأكل ويتصدق . . وكان لسانه لا يتوقفُ عن ذكرِ الله . . .

وراجت بضاعتُه ، وأصبح يكسب الكثير من هذا العمل ، وكثرت صدقاته على الفقراء والمساكين . . . وانتشر أمرُه بين أهل البلدِ . . فقال بعضُهم : عجيبٌ أمرُ هذا الرجلِ يتصدقُ على الفقراء . . . إنه فقيرٌ ، فكيف يتصدقُ عليهم ؟ !

وقال ثانٍ : ولكن شكله ليسَ كالفقراءِ . . كما أنه يلبسُ ملابسَ فخمةً .

فقال ثالثٌ : إنه ليس من بلدنا من أين أتى ؟

فقال رابع : إنه يرفض أن يذكرَ اسم البلدِ الذي جاء منه .



وقال الأول : إن لسانَه لا يتوقفُ عن ذكر الله .

وكان من بين الجالسين أحدُ خدمِ ملكِ هذه البلدةِ ، فترك الناس ، وذهب إلى الملك . وقال له :

مولاي الملك . . إن الناس يتكلمون عن رجلٍ غريبٍ ، جاءَ إلى بلدنا .

فتعجب الملك ، وقال لخادمهِ : رجلٌ غريبٌ ! ماذا فعل هذا الرجل ؟

الخادم : إنه يا مولاي يعبدُ الله ، ويتصدقُ كثيراً .

فقال الملك : لابد أنه غنيٌّ جداً .

الخادم : لو كان غنياً يا مولاى لكانَ الأمر عاديا . .

الملك : تقصدُ أنه فقير ؟

الخادم : نعم ويتصدق على الناس .

الملك : غريبٌ حقاً .

الخادم : والأغربُ أنه يلبسُ ملابسَ فخمةً جدا .

الملك : ربما كان غنياً ، ولا يظهر هذا الأمرَ ، حتى لا يبتعدَ الفقراءُ عنه .

الخادم : لا يا مولاي . . لو كان غنياً لما عمل في ضربِ الطوب اللبن .

الملك : ألم تعرفوا بلدَهُ التى جاء منها؟

الخادم : إنه يرفضُ أن يذكر اسمها .



الملك : اذهب إليه وأحضره ؛ لنعرفَ حكايَتَهُ .

الخادم : أمر مولاى .

وانصرف الخادمُ مسرعاً إلى الرجل على ساحل البحر ، وأخبره أن الملكَ يريدُ أن يقابله . . . فقال الرجل وهو يواصلُ عمَلَهُ : أخبرْ مولاك الملكَ أني لا أذهبُ إلى الملوك ، ولا أحبُّ أن أتكلمَ معهم .

وما إن سمعَ الخادمُ هذا الكلامَ ، حتى فتحَ عينيه بشدةٍ ، وقد أصابته دهشةٌ شديدةٌ ، وقال للرجلِ : هل تعرفُ معنى هذا الكلامِ ؟

فترك الرجلُ حجراً كان في يده ، وقال للخادمِ : أخبر مولاك بما قلتُ لك .

واصل الرجل عمَلَهُ ، وعاد الخادمُ ، وهو لا يصدق ما سمعه ، وأخبر الملكَ ، الذي تعجب أشدَّ العجبِ من كلام الرجل .

وبعد فترةٍ من الوقت ، وبينما الرجلُ منهمكٌ في عمله ، سمع صوت أقدامِ خيلٍ تقتربُ منه ، ورأى فوقها رجلاً ظهر من ملابسه أنه الملكُ . فجرى الرجل بعيداً .

ركضتِ الخيلُ خلفَ الرجل ، فلم تلحقْ به ، واختبأ الرجلُ .

وسمع الرجلُ الملكَ يناديه : يا عبدَ اللهِ ، لا تخفْ مني . أرجوك . . أريدُ أن أتكلمَ معك .



وخرج الرجلُ من مخبئه ، فاقتربَ الملكُ منه ، وسأله : من أنت . . رحمك اللهُ ؟

فأخبره الرجلُ عن اسمه ، فدهش الملكُ ، وقال له : أنت ملكُ البلدةِ التي بجوارنا ! ! ماذا حدث لك ؟ ! هل ضاعت منك المملكة ؟

فقال الملك : لا لكني جلست مع نفسي ، وفكرت ، فرأيت أن الحكم شغلني عن عبادة الله فتركتُ ملكى ومالى لله .

وفى الحال ، نزل الملكُ من على خيله ، وأطلقها ، وابتسم الى الرجل ، وأمسك ذراعيه ، وقال له : لقد أحسنت صنعاً . . . وأنا أحوجُ إلى هذا الأمرِ منك . اسمع يا أخي . . . سأتركُ مملكتي أنا أيضا . . قال الرجل للملك هيا بنا نعبد الله معاً . . . ودعا الله قائلاً : اللهم أمتنا معا ، واجمع بيننا في الجنة . . وردد الملك وراءه : اللهم آمين . وهكذا ترك الملكان حكمهما للتفرغ لعبادة الله ولو ظلا فى حكمهما لخدما دينهما أكثر ، لأن العمل عبادة ، وعاشا معاً ، وماتا معاً ، برملة مصر .

مطبعة الجبلاوى - ٢٠٢ شارع الترعة البولاقية - شبرا ت : ٦٨١٨٩٥
رقم الإيداع بدار الكتب ٢١٨٣ / ١٩٩٧ I. S. B. N. 977 - 5242 - 67 - 1